مجموعة قصصية

الذي لا يقهر

سعد أبو الرضا

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
كافة الحقوق محفوظة للمؤلف

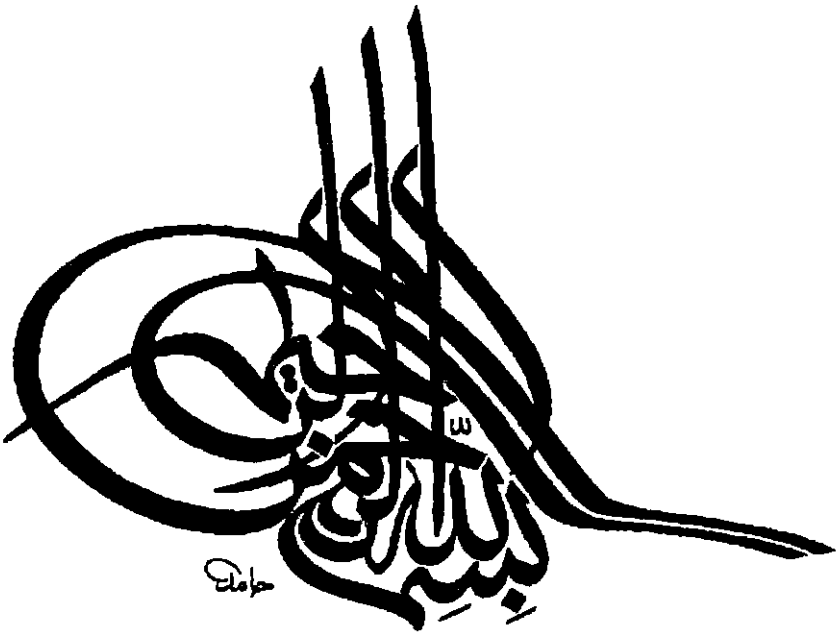
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أعتقد أن صدر الكاتب وكلمته يمكن أن تتسع لكل هموم الذات .. والمجتمع .. والأمة .. والإنسانية ..، بغية التغيير والإصلاح والإمتاع ..، فهل تستطيع هذه الكلمات أن تفعل ما تبتغيه ..، آمل ذلك وأرجوه ..

الذي لا يقهـــر

عندما احتل الصهاينة قرية بنت جبيل في الجنوب اللبناني في حرب ٢٠٠٦ تصوروا أنهـــم سيسيطرون على الجنوب كلـــه لارتفـــاع هـــذه المنطقة، وبذلك يقضون على المقاومـــة الباســـلة لرجال حزب الله ، من ثم فقـــد أخـــذ الـــضابط الإسرائيلي مناحم شاريت الذي تغطـــي قلنـــسوة الحاخامات اليهود وســـط رأســـه يتلـــو التـــوراة بتضرع وانفعال ، مناجيا ربـــه أن ينهـــي هـــذه الحرب التي فرضها عليهم قادة إسرائيل فرضا ، إثر اختطاف حزب الله لجنديين اســـرائليين مـــن مزارع شبعا، على أمل عقد صفقة تبادل يتم بهـــا إطلاق سراح بعض رجال المقاومة ممن ينتمون إلى حزب الله، ومما شجع مناحم شـــاريت ومـــن معه من الجنود والضباط الإسرائليين على تصور أمل انتهاء الحرب وعودتهم إلى إسرائيل ، اختفاء رجال المقاومة اللبنانية بعض الوقت ...

... الذي لم يستمر طويلا ...، حتى فوجئ هـذا الضابط وزملاؤه بزخات رصاص المقاومين من حيث لم يحتسبوا..، مما جعلهـم يلجـأون الـى المخابئ أملاً فى الوقاية والنجاة..، لكنهم فوجئوا مرة أخرى برجال المقاومة اللبنانية يستقبلونهم في هذه المخابئ نفسها ..، وتدور معركة بالأسـلحة البيضاء يسقط فيها عشرات القتلى من الصهاينة ، ولذلك فقد فر مـن تبقـى مـنهم ، واسـتدعوا الطائرات لتدك المنطقة دكاً.. ، فتهدم بالصواريخ كثيراً من بيوت هذه القرية وبعض مرافقها العامة دون تمييزبين مكان وآخر ..، لكنهم برغم ذلك لم يهدموا المخابئ السرية التي تحصن بها بقية جنود المقاومة اللبنانية من رجال حزب الله ، فقد كانت تحت الأرض في منطقة خالية ممتدة ، ليس فيها أثر ظاهر للحياة ..، وإن كانت تتـصل بـبعض البيوت التي لم تهدم بنفق طويل تحـت الأرض ، قد أعده رجال المقاومـة لمواجهـة مثـل هـذه المعارك ضد الصهاينة الذين لم يهتدوا إليها.

وقد نجا مناحم شاريت لأنه لم يسرع باللجوء إلى المخابئ التي تردد في الاحتماء بها .

ضاعف هذا الحادث من زيادة حرص القيادة العسكرية الإسرائيلية على أن يتتبع جنودهم جنود المقاومة اللبنانية وأسر من تصل أيديهم إليه منهم، بالإضافة إلى ما سبق من أوامر عسكرية إلى جنودهم بالإتيان بحسن نصر الله زعيم حزب الله حيا أو ميتا ، بعد أن فشلوا في الوصول إليه بأساليب الخداع والتآمر ، وفشل محاولة اختراق المنطقة التي يظنون أنه يوجد بها.

لذلك عندما وصلت الإسرائليين أنباء عن وصول عدد من رجال المقاومة المجروحين إلى مستشفي المنطقة ومن بينهم حسن نصر الله ، خططوا لمهاجمة المستشفى وأسره ، وقد قاد الضابط مناحم شاريت بحماس شديد هذه العملية ، وما أن وصلوا سرا إلى باب المستشفى حتى أمطرهم جنود المقاومة اللبنانية بوابل من الرصاص دون أن يعرفوا من أين يأتيهم ، أو كيف أدرك جنود المقاومة اللبنانية وجهتهم !

وبرغم أنه قد سقط منهم عدة أفراد ، لكن ذلك لم يمنع حماس الجنود الإسرائليين الذين نجوا من محاولة تمام العملية ، بعد دخولهم لى

المستشفى ، والتحصن بالمرضي كدروع بشرية ، بينما بقى بعضهم محاصرا للمستشفى من الخارج مما طمأن قليلا الجنود الذين دخلوا إلى المستشفى، وعلى رأسهم قائدهم مناحم شاريت الذي أخذ يفحص ملفات المرضى سريعا ..، ووصل إلى السرير الذي ينام عليه حسن نصر الله ، فقيد يديه ورجليه ، بينما هذا المريض لا يستطيع التحرك .. وكاد مناحم يطير من الفرح ..، وسريعا ما اتصل بقيادته في إسرائيل ..، وانتشر النبأ في كافة وسائل الإعلام ، وفي الوقت نفسه كان أحد جنود المقاومة اللبنانية ممن يتخفون بين المرضى لحراسة المستشفى يصوب مسدسه تجاه مناحم دون أن يدري ... فيرديه قتيلا، مما لفت أنظار زملائه الذين كانوا مستغرقين في البحث فقتلوا هذا الجندي المختبئ.

لكنهم عندما دققوا في ملف حسن نصر الله وجدوه حسن نصر الله معوض الفلاح اللبناني الذي كان قد أدخل إلى المستشفى لإجراء عملية استئصال الزائدة الدودية، ولا صلة له بالمقاومة والمقاومين.

إنهم يبيعون الحياة

في آخر النهار عاد ماهر من مصنع المنسوجات الذي يعمل به، متغير الوجه مقطب الجبين، ساهما، ألقى السلام على زوجته وأبنائه الثلاثة الذين كانوا منصرفين إلى أداء الواجبات المدرسية، لكنهم لاحظوا جميعا أنه على غير ما ألفوه عند عودته... فقد غاضت الابتسامة في وجهه، وأخفى الاكتئاب والصمت البهجة التي كان يُدخلها على كل من في البيت بابتساماته وتهليلا ته..، فلم يمر على الأبناء في غرفتهم كعادته، بل دخل مباشرة إلى غرفة النوم..، نظر الأبناء بعضهم إلى بعض في دهشة وتعجب.. أما زوجته سميرة فقد أدركت أن في الأمر سرا.. من ثم فقد تبعته إلى الغرفة لاستطلاع الأمر.

- لقد أنهى صاحب المصنع خدمتي مع مائة من الزملاء المهرة، حيث لم يعد المصنع محتاجا لخدماتنا، بعد أن باعته الحكومة لهذا المستثمر الأجنبي الذي يريد التوفير.... هكذا واجه زوجته

بالحقيقة المرة، بعد أن وجد نفسه وأسرته في مهب الريح دون أمن أو أمان، فقد صاروا كالأيتام على مأدبة اللئام، يهدد الفقر حياتهم.. الطعام.. والمسكن.. والملابس.. والمدارس.. هكذا وجد ماهر نفسه غارقا في مسؤوليات الأسرة لا يدرى كيف يواجهها..؟

لكن زوجته حاولت أن تهدئ من روعه، داعية إياه إلى الثقة في الله.."هو خير حافظا وهو أرحم الراحمين".

- ثم قالت له.. الحكومة تبيع الأصول.. كالمصانع من أجل سد العجز في الموازنة العامة للدولة، وتنسى الأرواح والنفوس.. الآباء والأمهات والأبناء، وأين إذن اشتراطها على المستثمرين أن يحافظوا على العمال في مصانعهم لمدة ثلاث سنوات.. على الأقل !..

- هذا مجرد حبر على ورق.. لا يوجد من يتابع تنفيذ مثل هذه الشروط.. فهم

بمجرد استلام الثمن ينتهي الموقف، ولا يوجد من يفكر في العمال.. وحقوقهم وأسرهم.. ولذلك أخذت ترتفع نسبة البطالة، التي تهدد المجتمع في أخلاقه وفكره.. وأمنه.. لنا الله يا سميرة !

***

وفجأة انطفأ المصباح الكهربي، فأظلمت الغرفة، فقال ماهر هكذا تظلم الحياة، لكنه حاول معالجته بالضغط على مفتاح الكهرباء الذي يوشك الاهتراء على إفساده تماما،.. لولا ما يقوم به ماهر من إصلاح مستمر، لذلك طلبت منه زوجته استبداله حتى تستمر الإضاءة آمنة...

- علينا أن نعود إلى القرية التي غادرناها منذ عشرين عاما.. قالها ماهر لزوجته بأسف شديد.. لكنها سألته، وماذا سنفعل هناك.. ؟

- نزرع القراريط التي ورثتها عن أبي وأمي .. لعلها تسد رمقنا، وتعيننا على مواجهة حياتنا... عندما نبدأ حياة جديدة

هناك بجوار أرضنا.. وتعسا لأنانية هؤلاء المستثمرين الذين يطفئون نور الحياة بدلا من إحيائها وإضاءتها والحفاظ عليها.

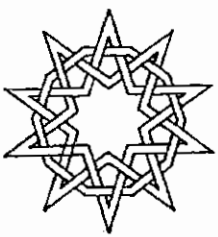

الشيخان

هكذا كان يسميهما أهل شارع السد بحي السيدة زينب بالقاهرة ، والشيخان هما على حسين وأحمد سيد ، اللذان ضاقا بالحياة وما فيها من فساد وظلم ، ولكنهما عاجزان عن فعل التغيير الذي لا يرون من سبيل إليه ، لضيق ذات اليد ، فكلاهما قد تخرجا في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، وهما من أسرتين تعيشان على الكفاف الذي قد تحققه الوظيفة الحكومية المتواضعة لوالديهما المعولين .

وبرغم تقدمهما إلى مكتب العمل لكنهما قد مضى على تخرجهما عدة سنوات ، ولم يصبهما الدور ، فلا هما من العشرين الأوائل الذين تتكفل الدولة بتعيينهم ، بعد أن كانت تقوم بتعيين كل الخرجين ، كما أنهما لم يجدا من يتمتعون بعلاقات اجتماعية فاعلة ليتوسطوا لهما عند أصحاب الشركات أو أولي الأمر .

وفي الوقت الذي أتيح لأحمد فيه أن يعمل مدرس لغة عربية في مدرسة الإيمان الإعدادية

الخاصة للبنات ، فإن علي أتيح له أن يعمل صبي ميكانيكي سيارات ، فربما يتعلم هذه المهنة التي بدت له مربحة ، وهو يشاهد حياة الميكانيكي الذي يسكن في الشقة المجاورة لهما ، كما أن هذا الميكانكي هو الذي عرض عليه ذلك ، شفقة به وبوالده ورعاية لحق الجوار .. ، وقد شجعه على ذلك إغراء هذا الجار الميكانكي له خاصة وهو يحدثه عن نفحات الزبائن وما يمكن أن يغدقوه عليه من "بقشيش" ، يمكن أن يغمره هو وأسرته .

وبرغم أن الحياة قد أخذت في الحركة على نحو ما بالنسبة للشيخين علي وأحمد ، لكنهما وجدا أن الفارق بين الواقع والطموحات كبير جدا ، فلا هما استطاعا أن يساعدا أسرتيهما لأداء بعض ما يدينان به لوالديهما ، ولا هما استطاعا تحقيق شيئ من تطلعات الشباب في المسكن المناسب ، برغم التيسيرات التي يسمعون عنها بالنسبة لشقق الشباب .. ، .. بل إن الملبس اللائق بعيد المنال ، فما بالك بالزواج وهما في السن التي تؤهلهما لذلك وجدانيا .. ، لكن متطلباته اليوم تجعله مستحيلا في نظريهما .. ، فكل منهما قد رسم ملامح شريكة حياته ، وقد منى نفسه بها ، وهو

يراها تروح وتغدو في حيهم ، .. ولكن "ما كل ما يتمنى المرء يدركه .." ، .. وإذا ما فكر الشيخ أحمد في الكتابة بالصحف رافضا هذا الواقع المتدني .. ، فهناك... قانون الطوارئ الذي يكبل الجميع فلا أحد يستطيع أن يعبر عما يريد .. بصراحة ووضوح ... ، برغم ذلك فهو يكتب في بعض الصحف الحزبية بين الحين والآخر...، تنفيسا عما يغلي في صدره..،

كثيرا ما كان الشيخان يصومان عملا بقول رسول الله ﷺ " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء "، وقد اعتادا الصلاة في مسجد السيدة زينب القريب من مسكنيهما ، ومن مقري عمليهما .. .

قرر الشيخان مزيدا من الطاعة لله فالتحيا ، وربما كان هذا سبب تسميتهما بالشيخين ، كما كانا يعتكفان بالمسجد العشر الأواخر من رمضان ، وضيقا على نفسيهما ، بل وتشددا فلم يسمحا لأسرتيهما بمشاهدة التلفاز.. ، لا البرامج الدينية ولا غيرها..، مما جعل أسرتيهما تضيقان بهما .. خاصة البنات والأولاد الصغار ، الذين كانوا يجدون في

خروج الشيخين إلى العمل فرصة للتمتع بما يشعرون أنه حرية مباحة لجميع الناس ، ولكن الشيخين هما اللذان يحولان بينهم وبينها ... .

وذاع صيت الشيخين حتى إنهما كان يؤمان المصلين في بعض الصلوات ، عندما يتخلف الإمام الراتب في كثير من الأحيان ، بل كانا بعض أهل الحي يستفتيانهما في بعض أمور الدين أحيانا ، والعجيب أنهما كانا يقومان بالفتيا ليس عن إطلاع ومعرفة ، بل اجتهادا وخبرة ... خاصة الشيخ أحمد مدرس اللغة العربية .

وقبض على الشيخ أحمد مع من قبض عليهم في إحدى المظاهرات..، وأودع سجن الواحات دون محاكمة..، حيث التقى الكثير ممن يطلقون لحاهم ويقصرون أثوابهم ، وبعضهم لا يفهمون من الدين الإسلامي أكثر من ذلك ، بينما هناك المتمردون ذوي الأفكار الخارجة عن أصول الدين ولا يؤمنون بغير العنف سبيلا لتحقيق مآربهم..، بينما هم لا يملكون من الوسائل إلا الكلام وما أشد خطره على الشيخ

أحمد وأمثاله ممن ضاقوا بالحياة .. وضـاقت بهـم الحياة.. ، وذاق الجميع صنوفا من العزلة .. والتعذيب .....

وفي إحدى المرات التي كان يـذهب فيهـا الشيخ على سنويا لزيارة صديقه الشيخ أحمد بسجنه ، وجده قانطا متضايقا ، عازما على الانتحار .. ، لكنه أخذ يخفف عنه ، داعيا إياه إلى الصبر وهو مفتـاح الفرج ... ، لكن ضجيجا بين بعض المتحدثين فـي ساحة الزيارات التي تضم الزائرين والمزورين مـن المسجونين قد طغى على الموقف ، وهـم يهللـون ويكبرون ، فقد صدر قرار بإلغاء الأحكام العرفيـة ، وإيقاف قانون الطوارئ ، خاصة بعد صدور قـانون جديد لمقاومة الإرهاب .. ، وبـذلك سيـصبح كـل المعتقلين أحرارا .. ، وعاد الشيخ أحمد مع صـديقه الشيخ على إلى شارع الـسد بحـي الـسيدة زينـب يمارسان شعائرهما وطقوسهما ... .

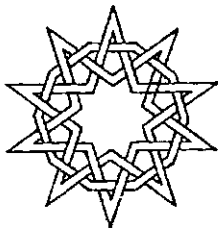

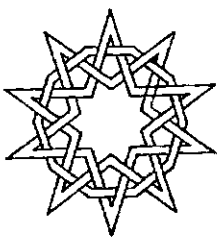

المدير العام ... يسرق المترو ..

في مناسبات مختلفة يجمع سعادة المدير العام التبرعات من الموظفين ، خاصة رؤساء الأقسام ووكلائهم ، .. كي يوزعها على العمال والمحتاجين ، .. ليبارك الله لهؤلاء المتبرعين ، وفي الوقت نفسه يقضي بعض حاجات المحتاجين ، ويوسع عليهم ، ..

لكنه في الوقت الذي يكون فيه أول المتبرعين لا يمكن أن ينسى سحب ما تبرع به قبل التوزيع ، ليدسه في جيبه كما كان ، .. خفية ولا يعلم بذلك من أحد إلا نائبه .. ، فقد وعده سعادة المدير العام أن يصبح مكانه عندما يحصل هو على درجة وكيل وزارة .. ، ويكفيه من فعل الخير ، أنه جمع ووزع ، وقضى بعض حاجات المحتاجين .. ، ووسع عليهم .. ، وسيسجل هذا العمل الخيري مكررا في التقرير السنوي الذي يرفعه إلى وكيل الوزارة ..

ولقد تعود سعادة المدير العام أن يستقل المترو

القريب من منزله حتى يصل إلى ميدان التحرير ، وهناك تكون سيارة المصلحة في انتظاره لتنقله إلى مقر عمله سالما غانما ، فهو يرفض أن يركب سيارة المصلحة من منزله مباشرة لما في ذلك من نفقات وتكلفة ...، يمكن أن تتحملها الوزارة دون مسوغ لذلك ، خاصة بعد ارتفاع سعر البنزين.. ، هكذا يزعم سعادة المدير العام.. لكنه ربما لا يريد لسائق المصلحة أن يطلع على كل شيء في بيته أو مسكنه ..، فالبيوت عورة كما يقولون .. ، وهو مرشح لدرجة وكيل وزارة .. ، لم يؤهل نفسه بعد لها .. ولمظاهر أبهتها .. ،.. كما انه في الوقت نفسه ، لم يسبر أغوارها .. ومسالكها حتى يستفيد منها كما يجب .. وكما يفعل غيره من وكلاء الوزارات الذين يسمع عنهم .. ، وعن مظاهر الترفيه والأبهة في حياتهم .. ، في هذه الوظيفة المرموقة .. خاصة عندما يصبح وكيل أول الوزارة ، التي ربما تقربه من درجة "وزير" .. ،

فيتحقق المراد ، ويتم المأمول .. فطموحاته لا حدود لها .. .

في الاجتماع السنوي المهم لجميع موظفي المصلحة ، أخذ سعادة المدير العام يواصل حديثه بحماس وحمية شديدين ، ملونا صوته بمستويات التأثير المختلفة ، حاثا مرؤوسيه على الجد و الاجتهاد والإخلاص ..، وخدمة الجماهير ، رعاية الله ، وأداء الواجب ، وبناء الوطن ..، وحفاظا على مرافقه ..، ووفاء للمسؤولية ..، وغير ذلك من النصائح والتوجيهات اللازمة الضرورية ، التي تمثل عصب حديث المدير العام دائما ..، سواء التزم بها كل المسئولين ، أو تفلت منها كثيرون منهم ..، فهو لا يملك إلا النصح والإرشاد ، وعلى رءوساء الأقسام ووكلائهم مراعاة ذلك..، في تقاريرهم السرية نصف السنوية ، والسنوية التي ترصد ..، وتقوم ..، وتقيم .. جهود كل العاملين في المصلحة.

وبينما سعادة المدير العام ينصح ويوجه ..، عارضا عضلاته الكلامية أمام الحاضرين والحاضرات..، كان احد عمال المصلحة ممن يجلسون في مؤخرة قاعة الاجتماعات التي تضم جميع العاملين في المصلحة يهمس في أذن جاره قائلا له .. بالأمس بينما كنت أضع تذكرة المترو في آله الإدخال حتى تفتح البوابة لأدلف إلى داخل المحطة..، والله لقد شاهدت بعيني مديرنا العام هذا يتحايل في خفة ..، ويرفع ذراع البوابة المجاورة لي نصف فتحة ، حتى يجتاز إلى داخل المحطة دون أن يضع تذكرة ، لأنه تعود التحايل ليوفر ثمن التذكرة ..، ولكن ربما لم يكن معه فكه..، فقد أصبحت تذكرة المترو بجنيه كامل ..، وسأخبرك أيضا بعد الانتهاء من هذا الاجتماع بأسرار موقف الموظفات منه عندما دخلن عليه في مكتبه ، وهجمن عليه ضربا بأحذيتهن ..حتى استغاث بالشرطة

ميلاد.. جديد

نشأت في بيئة متواضعة ... ، لا ترى إلا الشوارع الضيقة ، غير النظيفة إن كان هناك شوارع .. ، فكثرة الحارات الضيقة ، والمسدودة غالبا ، تكاد تشكل معظم هذا الحي الذي ولدت فيه وتربت ، يصفه بعض الناس بأنه حي شعبي .. ، لكنه بعيد عن الحياة .. ، فالذباب فيه أكثر من البشر ...

أخذت تقارن بين هذه النشأة وبين ما تتمتع به الآن ... ، شقة فاخرة (دوبلكس) في عمارة فارهة ، وحي أرستقراطي ، متسع الشوارع ، تظلل الأشجار جانبيه .. ، وزوجها الطبيب المتواضع ذو الأصل الكريم .. ، يحقق لها كل ما تريد .. ، وهو ما لم تكن تحلم به في بيت أبيها التواضع .. ، ولقد عودت

أبناءها أن ينادوها مامي .. ، والأب بابي ، والجدة والدتها .. تيته.. ، ويا ويل من يخطئ من هؤلاء ، الأبناء ويقول : ماما .. ، أو بابا .. ، أو جدتي .. ، لا تغفر له هذا الخطأ الجسيم في نظرها .. ، خاصة أمام الآخرين.. .

عاد الابن الأكبر ذات يوم من مدرسته – وهو بالصف الأول الإعدادي باكيا شاكيا عابسا ... فقد ضحك عليه زملاؤه في الفصل ، عندما ذكرته المدرسة صديقة والدته .. ، وجارتها في الحي الشعبي منذ أكثر من عشر سنوات .. بما في هذا الحي من قذارة .. ، وحوار مختنقة .. ، ومسدودة .. ، وذلك أثناء درس من دروس التربية الوطنية عن تقسيم المدن إلى أحياء ، وسمات الحي .. ، وواجب الناس نحو

مدنهم وأحيائهم .. ، وحملته سلاما وتحية إلى والدته ... ، فاستشاطت غضبا .. ، وقررت أن تشكوها إلى مديرة المدرسة انتقاما منها .. ، لكن المدرسة احتجت بأنها تضرب أمثلة للتلاميذ يلمسونها من واقعهم حتى يشبوا على النظافة والمحافظة على الملكية العامة .. ، ويعوا مسؤولياتهم تجاه وطنهم وبلدهم وحيهم .. ، وقد اقتنعت المديرة بذلك أيما اقتناع .. ، مما جعلها تلوم الأم في رفق ومودة .. ، مبينة لها أهمية تربية الأبناء على معرفة واقعهم ، وأوطانهم ، ومسؤولياتهم تجاه نظافتها والحفاظ عليها ... ، لكن هذه الأم لم تقتنع بشيء من ذلك ، بعد أن نكأت المدرسة جراحها .. ، وكشفت للابن عن بيئة أمه .. ، وهي على عكس ما تزعم تماما أمام أبنائها وأهل زوجها.. ،

ذلك الزوج الذي ضاق بأساليب تكلفها وتعاليها على من حولها .. وهو ما تحاول بثه في أبنائها .. ، حتى إنهم أصبحوا يصطدمون بالحياة والأحياء من حولهم .. ، زملاء الدراسة .. ، وأصدقاء الحي .. ، ورفاق النادي الذين كانوا يبتعدون عنهم أحيانا ... ، ويخالطونهم في أحيان أخرى ؛ وكان الزوج نفسه يحاول أن يحث الأبناء على الاعتدال والتوازن في السلوك .. ، كي يجنبهم آثار التكلف والتعالي الزائف .. ، ويحضهم على التواضع الذي حرمت منه أمهم .. ، بل لقد كانت أحيانا تتعالى على زوجها وأهله .. ، برغم الفارق بينهم .. مكانا ومستوى اجتماعي .. ، حتى ضاق بهذا السلوك غير الحميد .. ، وتلك التوجيهات للأبناء ، والأوامر غير السديدة .. .

والأدهى والأمر أنها في الوقت الذي تزعم أن أهلها يمتلكون كل شيء .. ، الصغير والكبير ، والغالي والرخيص .. ، كانت تنقل من بيت زوجها الأدوات .. ، والهدايا الذهبية .. ، التي يقدمها إليها في المناسبات المختلفة .. ، وتقدمها هي إلى أمها ، زاعمة أنها هي التي تشتري هذه الهدايا والأدوات لأمها من مصروفها الشخصي الذي يعطيها إياه زوجها .. ، وفي الوقت الذي كان الزوج متأكدا من قيامها بهذه الأفعال الشائنة .. ، كان يخجل أن يفاتحها في اختفاء هذه الأشياء .. ، .. لكن هذه الأمور كانت تزيده ضيقا .. ، وألما ، وتملأ نفسه مرارة .. ، حتى أوشك أن يواجهها بكل أفعالها السيئة ، وسلوكها غير اللائق مع من حولها من الأبناء .. والأهل .. ، خاصة عندما تزعم أن ما اختفى من الأدوات والهدايا الذهبية ، قد

أخذه هو دون علمها وأعطاه إلى أهله وأقاربه .. ، ولكنها طبعا لا تملك أي دليل على ذلك .. ،

بل لقد بلغت إساءتها وعقوقها أن اختلفت مع والدتها .. ، وقاطعتها .. مما جعل هذه الوالدة تجمع كل ما قدمته لها ابنتها من هدايا مزعومة وأدوات .. ، وتذهب إليها طارقة بيتها .. ، حاملة كيسا مملوءا بكثير من الأدوات والهدايا المزعومة .. ، التي كان زوجها يشتريها ويقدمها إليها .. ، وتردها إليها أمام زوجها وأبنائها قائلة لها .... لقد أقسمت ألا أقبل منك أي هدية ... مما جعل الزوج ينظر إليها نظرات ساخطة مؤنبة .. ، بعد أن كشفت هذه الملابسات والظروف كذبها وافتراءاتها .. وسوء تصرفاتها .. بينما هي قد أُسقط في يدها .. فأخذت تتصبب عرقا ..

بين دهشة الأم والأبناء من حولها .. وقد أحست بشدة سوء ما فعلت .. وانخرطت في البكاء معلنة أسفها وندمها ... ، وهوت على يد أمها وزوجها مقبلة لهما .. ثم قالت ... ، لقد ولدت من جديد... ، لقد ولدت من جديد... .

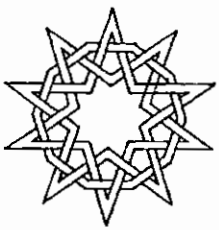

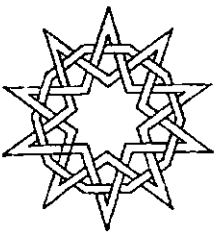

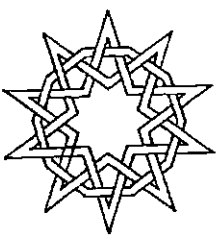

العمرة .... والرحلة ٨٢٢

تعودت عندما أسافر بالطائرة من جدة إلى الرياض، بعد حمد الله على إتمام شعائر العمرة، أن يتم ذلك عن طريق مطار الملك عبد العزيز الدولي الطيران الداخلي، وربما لتعوُّدي ذلك أصبحت لا أصل المطار إلا قبل موعد دخول الركاب الطائرة بنصف ساعة أو أقل حتى أتجنب ملل الانتظار.....

في هذه المرة وجدت مكانا على الرحلة ٨٢٢ من جدة إلى الرياض، بعد صعوبة وبحث شديدين، فقد ارتبطت رحلة العمرة ببعض المصالح التي أبتغى إنجازها في جدة.. وفعلا بعد الانتهاء منها توجهت إلى المطار كعادتي قبل موعد إقلاع الطائرة بوقت قليل، وعندما أصبحت في صالة "الترانزيت" لم أجد إعلانا ولا إشارة تنبئ عن حركة إقلاع الطائرة، مما دفعني إلي سؤال أحد المشرفين علي حركة المطار، بالنسبة للرحلة ٨٢٢، فإذا به ينظر إلي ساعته، ويقول لى أسرع إلي المطار الخارجي

فقد لا تدرك الطائرة لأنها ستقلع من المطار الخارجي لا الداخلي، لأن هذه الرحلة ستتوجه بعد الرياض إلى ماليزيا... وكانت مفاجأة إذ لم يخبرني لا مكتب الحجز ولا أي لوحة إعلانات عن ذلك .... فهل سأدرك الرحلة ٨٢٢؟ علما بأن غدا صباحا لابد أن أكون متواجدا في مقر عملي، للمشاركة في اجتماع ضروري مهم.

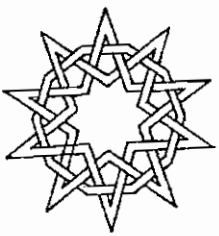

المصباح الأحمر

أحمد : زوجتي الحبيبة... أشتاق إليك.. وعندما أحاول مهاتفتك في عملك... لا يجيب الهاتف..، وأكرر الطلب ، ويدق الجرس لديك ... لكن .. لا سميع.. ولا مجيب.. !

فضيلة : عندي شغل ...

أحمد : أي شغل هذا الذي يستنفد كل هذا الوقت..، بل يشغلك طول الوقت....

فضيلة : ألا تقدر أن وظيفتي في المصلحة كمدير عام... تتطلب مني عملا كثيرا.. توجيه الموظفين..، مراجعة التقارير التي تقدم إلى وكيل الوزارة..، متابعة مشروعات المصلحة..، البت في شكاوى الجماهير..، وكل مهمة من هذه المهمات تحتاج إلى شخص بمفرده للتفرغ لها....

أحمد : يا زوجتي الحبيبة.. ألستُ مديرا عاما مثلك... وأواجه هذه الأعمال..، وأنجزها على خير وجه..! ومع ذلك.. أجد لدى من الوقت ما

أجيب فيه على الهاتف.. ، وأحيانا أتحدث مع أحد أقاربنا عندما يهاتفني.. !

فضيلة : أرجوك لا تقارن بين.. عملي وعملك..، فطبيعة عملي في وزارة الزراعة..، تختلف عن طبيعة عملك.. في وزارة التربية والتعليم..،

أحمد : أدرك ذلك..، لكن هذا الاختلاف ليس مسوغا لاستنفاد كل الوقت.. وعدم الرد على الهاتف..!

فضيلة : قد يكون ذلك صحيحا.. إلى حد ما..، لكن تصور أن قسما واحدا.. هو قسم استصلاح الأراضي مثلا.. يتناقش معي رئيسه في المرة الواحدة أكثر من ساعة ونصف.. يعرض الاحتياجات.. بعد أن يبلغني بالإنجازات..، ونتائج ذلك..، ومشكلات العاملين والعاملات..، وهكذا كل رئيس قسم...

أحمد : وطبعا الحديث ذو شجون..، يتم الانتقال من الشغل إلى الشارع.. إلى المنزل.. والأولاد.. و... و...

فضيلة : ماذا بك يا زوجي العزيز..، هل هناك غيرة ؟ ألست ملكا لك في البيت..!

أحمد : لكن يجب أن يكون هناك..! اتساق بين المنزل والعمل..، خاصة فيما يتعلق بحياتنا كزوجين..، وأولادنا نحن..، واحتياجهم إلى توجيهاتنا..، ونصائحنا..، و.. صلتنا بأهلنا وذوي قربانا... " من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته "

فضيلة : وهل في ذلك شك..؟

أحمد : إذن لماذا تسمين سؤالي عنك بالهاتف...، واهتمامي بحديثك مع الآخرين... غيرة ؟؟

***

وحدث أن دخلت والدتها المستشفى.. مما جعلني أتابعها في المستشفى للاطمئنان على علاجها.. وصحتها، وقد تطلب ذلك مني أن أمر على زوجتي في عملها كي تصحبني، وذلك بناء على اتفاقنا معا، لكن في أكثر من مرة كنت أمر على مكتبها فلا أجدها، فيخبرنى الساعي بأنها عند وكيل الوزارة.. فأنتظرها.. لكن

لاحظت عند خروجها من عند وكيل الوزارة أنها ليس بيدها أوراق... فسألتها.. وأين الأوراق التي كانت معك، فتجيبني بأنها قد سلمتها له.. وعندما تكرر ذلك منها خلال مدة بقاء والدتها بالمستشفى.. أثار ذلك شكوكي،..خاصة، وقد كان العامل الذي يجلس أمام مكتب وكيل الوزارة عندما يرى قلقي بعد أن عرفني، يشير إلى المصباح الأحمر المضئ فوق باب مكتب وكيل الوزارة،..بما يعني أنه مشغول،..والدخول ممنوع.. فأتراجع لانتظارها،..وعندما تخرج يتكرر سؤالي لها، لماذا كل هذا الوقت فتقول: عندي شغل،..مما جعلني ذات مرة.. أفتح باب غرفة وكيل الوزارة فجأة رغم إضاءة المصباح الأحمر، فرأيت ما جعلني أقول لها.. أنت طالق ثلاثا....

ابتـــزاز

أخذ أحمد صديقي العزيز يحكي لي وهو بادي التأثر والانفعال:-

اشتقت إليها بعد طول غياب؛ فحملتني قدماي إلى منزلها..، طرقت الباب بحرص وترقب،.. فإذا هي تفتحه لأدلف إلى الداخل مالئاً عيني منها، لكنها أسلمت نفسها إلى الدهشة المريبة، ثم عادت سريعاً إلى ما كانت فيه على بعد خطوات من كرسي وجدتني أجلس عليه....

أخذت أعاتب..، وألوم من لا تسأل عن زوجها المكلوم...

- لن أذهب إليك..، لن أعيش معك..، ماذا تريد منى اتركني في حالي... هكذا واجهت عتابي..!..

حاولت أن أهدئ من روعها، وأبثها شيئاً من المودة، كي تشعر بحنيني ولهفتي وشوقي...

لكنها استمرت... كيف أعيش معك.. وليس لي بيت؟ كيف أعيش معك وأنت لا تنفق على؟

هل تقول إنك أعطيتني عقد الشقة؟ أين هو الآن؟... صَدَمْتني صدمة شديدة.. لأنني اشتريت هذه الشقة التي نقيم فيها من أجلها، بل وكتبت تنازلاً عنها لها على العقد الذي تملكت به هذه الشقة، كما سلمته لها، ونظراً لشكها الدائم في كل شيء، وعدم ثقتها، فقد طلبت منها عرض هذا العقد على أحد المختصين في القانون لتتأكد من سلامة تنازلي لها عليه، على أن تحتفظ به هنا في شقتنا فهو إثبات الملكية الوحيد لنا هنا.

وبرغم إغداقي عليها فهي دائمة التطلع.. لا نهاية لمطالبها التي كان أخيرها وليس آخرها ما طلبته أمها لها، من أنها تريد شقة أخرى ملكاً لها في بلدة أمها.. التي تبعد عن مقر عملنا بمئات الكيلومترات، برغم أنها وارثة لشقة في المكان نفسه، ونظراً لكون طلبها هذا غير مسوغ..،.. ولسنا بحاجة إليه، مادمنا في شقتنا الأخرى الأقرب إلى مقر عملنا فلم ينل منى هذا الطلب غير الدهشة والاستنكار، وما أكثرهما أمام مطالب مشابهة ليست من ضروريات

الحياة، ولا من كمالياتها.. وإنما هو ضرب من الجشع والطمع والتزيُّد، إذ تتوهم أنى قد أهديت حفيدي مثلاً شيئا ثمينا، ومن ثم تطالبني بنظيره لها، وإلا فأنا لست عادلاً..، وبرغم أن ذلك لم يحدث، وإنما هو ظن منها....، فقد حاولت تهدئتها وإقناعها بأن ذلك مجرد ظن منها،.. ولكن دون جدوى... تقول مؤكدة: لقد رأيته بعيني في يده..،

- نعم رأيته حقاً، لكنى لست مهديه، بل لست الشاري له،.. وإنما رأيته مثلك.. ومعك.. وفى الوقت نفسه..،

- أنتَ تكذب...!

- أنتِ الواهمة..! سيئة الظن!

- هكذا تتهمُني دائما..

- وأنتِ هكذا تتجاوزين الأصول... وينفلت لسانك.. من أجل ماديات الحياة..! أين المودة..؟ أين الإفضاء.. أين الحب....؟

- قل لنفسك..! لو كان لي ولد منك.. لأحضرت له كل شيء..!

- أنت عندي كل شيء... الزوجة والأم والأخت والبنت والابن....
أنتِ حياتي...! وحبي وأغلى ما عندي..!
- أنتَ تخدع نفسك.. وتخدعني..!.. دعكَ من كل هذا وضع في
حسابي مبلغاً من المال الكثير لديك..
إنني أعيش معك بلقمتي...
دَعْكَ من هذا الابتزاز..
-.. هكذا.. والشقة.. والسيارة.. ورحلتنا إلى الطائف...والمنطقة الشرقية والى فرنسا ولبنان.. وإلى شرم الشيخ.... والساحل الشمالي.... كل هذا أو بعضه لا يتناسب مع من تزعم أنها تعيش بلقمتها...! كُفَّ عن هذا الهراء.. والعبث..

- إنني ذاهبة إلى أمي... ولن تراني.. ولا تتصل بي لأني لن أرد عليك.. يا جحود... يا منافق.. إنك تبتزني...

***

ذهبت إلى حماتي بعد ذلك بساعات...، لأجد الجو ملتهباً... ولكني أريد زوجتي.. لعلها تتفاهم معي.. لكن وجهاً خشبياً كان أمامي..، ثم إذا بحماتي هي الأخرى برغم حبي لها ومعاملتي لها كأمي تقول لي:

- اسمع بنتي ليست جاموسة تذهب معك، كما تشاء.. إنها لن ترافقك.. ماذا تريد منها.. هات لها شقة أولاً في هذه البلدة،----

وعاملها معاملة طيبة، ثم تقول لابنتها زوجتي:

- والله لن تذهبي معه... واتركيه... طلقها يا أخي... ماذا تريد منها... وماذا تريد منا...

- أريد زوجتي... وزوجتي فقط...، أم أطلقها وأستريح ويستريح الجميع..... فقد ضقت ذرعا بهذا الابتزاز.

أخذت أهدئ من روع صديقي أحمد، قائلاً له.. اصبر ما دمت تحبها..، وسيجعل الله لك من بعد عسر يسرا..، وأخذت أفكر.. إذا لم يكن الطلاق لمثل هذا الابتزاز، فلماذا شرعه الله؟

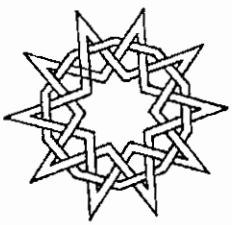

وجدت الأم نفسها بين بناتها الثلاث في الشقة التي خلفها لهن الوالد بعد وفاته، وقد جعلت من نفسها المسئولة الوحيدة عنهن، رعاية وطعاما وشرابا، فهي التي تقوم بإعداد الطعام، وهى التي تتولى التوجيه والإرشاد عندما يخرجن إلى أعمالهن: الممرضة وهي الابنة الكبرى، والطبيبة وهي الوسطى، والمحاسبة وهي الصغرى المطلقة، التي تتسم بالحدة والانفعال وسرعة الغضب الذي كان من أهم أسباب طلاقها ..

كثيرا ما كانت الأم تبدي ملاحظاتها على ملابسهن، لكن الكبرى لم تكن تعبأ بهذه الملاحظات متصورة أن إظهار شئ من مفاتن جسمها قد يجلب لها الزوج المأمول ..، ولكن دون جدوى ..، فبيئة المنزل والمستشفى لم تكن تستسيغ هذا التوجه، لكن حضرة الممرضة في واد .. والدنيا من حولها في واد آخر ..، وتمضى أيامها على هذا النحو ..، وإن لم يكن ينقصها الاهتمام بالشقة وترتيبها ..، وهكذا تعنست ..!

أما الطبيبة، فبرغم قصرها لكنها كانت تتمتع بشئ من الجمال، وقد رفضت بعض من تقدموا

لخطبتها، كما انصرف عنها بعضهم، كما رفضت أن تفتح عيادة خاصة لها مكتفية بوظيفتها في المستشفى الحكومي، بالإضافة إلى ما تقوم به من أعمال النظافة في شقتهن ..، حيث كانت ترى في ذلك تعويضا لها عن الاهتمام بالحياة خارج شقتهن، وهذا نظام لم تحاول التفكير في تغييره برغم عدم تحقيقه شيئا من طموحاتها، فآثرت الركون إلى البيت على هذه الحالة ..، وهكذا تعنست ..،

أما الصغرى المطلقة العصبية، فقد خرجت من الزواج بعد طلاقها بطفل، أصبح يتمتع بحب جدته وخالتيه وعطفهن، كما شغل هو أيضا حياتهن، بالإضافة إلى اهتمام أمه به الذي رأت فيه كل حياتها ..، وحاولت أن تقنع نفسها بذلك ..، ولكنها عاشت موزعة بين الرفض والرجاء .. أملا في حياة زوجية تعيدها إلى الحياة ..، وبرغم أنها تجاوزت الخامسة والأربعين ..، فهناك من كان يفكر فيها من الجيران، ممن يشابهها في حالتها سنا وظروفا، خاصة بعد أن توفيت زوجته، لكن عصبيتها وطموحاتها التي قد تجاوزت بيئتها الاجتماعية حالت بينها وبين الزواج .. وهكذا تعنست ..،

وعندما تقدم خاطب – قد تجاوزته الحياة – للصغرى التي ملت الدنيا دون رجل تعتمد عليه، تتحرك الرغبة في الزواج لدى الأختين الكبرى والوسطى، دون أن تجهرا بذلك، وقد أحست الأم بهذا الحراك .. الذي بدأ يجتاح شقتها بغرفها الثلاث..، وقد لمست الرغبة في القبول لدى كل منهن ..، وبرغم تفكير الأم أيضا لنفسها في هذا الزوج، لكنها أظهرت رفضها الشديد بالنسبة لنفسها ولهن أيضا ضاربة عرض الحائط بظل رجل قد تجاوزته الحياة، مؤثرة الاستمرار في دورها الذي أناطته بنفسها راعية لبناتها، حافظة لهن حولها ..، ويبدو أنهن أيضا قد استسلمن لهذا القرار .. وإن لم يقتنعن به ..!

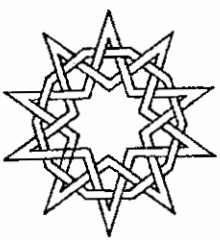

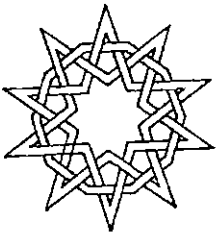

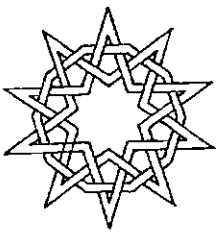

الثـــمن ...

من يزرع لابد أن يحصد، لكنني لا أجد شيئا في يدي، يمر أمامي شريط حياتي معك، علني أجد نقطة مضيئة فلا أجد فيه إلا ظلاما دامسا، هل تريد أن أقدم حياتي لك ولأولادك دون مقابل؟

هكذا فاجأته زوجته.. لكنه أخذ يقول لها بمودة.. وابتسام.. أليس عبد الله وست الحسن ثمرة زواجنا وحبنا؟ أليس ما ننعم به من سعادة فضل عظيم من الله علينا جميعا،..يجب أن نشكره عليه؟.. الفيللا.. والسيارتان، والخادمة، والسائق.. والصحة قبل كل ذلك!

- دعك من هذا الذي تكرره كلما واجهتكَ بالحقيقة التي تصدمك.. كم دفعت لي بالمصرف؟.. أم تريد أن أقدم لك نفسي مجانا..!

- إن الحياة معك يا حبيبتي أغلي من الحياة نفسها.. لكنها استمرت في .. غضبها وانفعالها.. قائلة.. إنني أعيش معك بلقمتي.. بئست هذه الحياة!! التي أريد لها أن تنتهي كالبرق.. حتى

أستريح منكم..!.. إنني في ضياع.. لا حاضر سعيد.. ولا مستقبل آمن....صدمته هذه الأفكار الجارحة خاصة عندما تكررها زوجته بانفعال مرة، وبغضب مرة أخرى.. إنني أحاول أن أحقق لزوجتي كل ما تريد.. مادام ذلك في استطاعتي.. الرحلة إلي تركيا.. وأوروبا.. وقضاء أجمل الأوقات بأبها .. والطائف.. والمنطقة الشرقية.... بل والولائم في أرقى المطاعم..، والهدايا الذهبية... وغيرها في المناسبات المختلفة.. وغير ذلك مما أسعدنا كثيرا أنا وهي وأولادنا..عبد الله وست الحسن.. فهل كل ذلك ضياع....؟

- إنني أنا الضائع حقا.. حياتي في مهب الريح، ما إن يظللها الهدوء، حتى يجتاحه طوفان الانفعال، وتحرقه نار الغضب وتعكره مشاعر الاستحواذ.. ولماذا لا أفكر في زوجة أخرى.. كأبي أحمد..، أو أبي علي.. لكنني لا أريد لعبد الله وست الحسن أن تتغير نفسيهما.. بمثل هذه التقلبات...

سألتني ست الحسن: ...بابا...لماذا تتكلم ماما بهذه الطريقة....ونحن والحمد لله في سعادة ونعيم.. قلت لها...ربما يكون مرضا نفسيا.. أسأل الله أن يشفينا جميعا مما بنا،.. غدا إن شاء الله سنقوم بزيارة للطبيبة النفسية شفاء بنت سعيد المبارك.. وأرجو ألا تتردد ماما في الذهاب.. فقد تتغير نفسيتها، فالله " لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ".

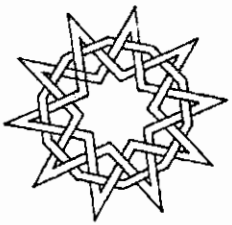

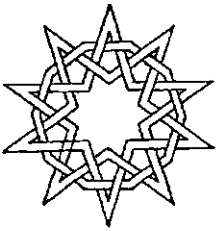

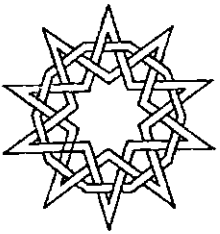

زواج على ورقة طلاق

الزوجة – إنني أكرهه.. ولا أريده..
الأم – ولماذا تذهبين معه..؟ فلتتركيه.!
الأخت (١) – إنه لا يستحقك... ولكن هذا نصيبك..!
الأخت (٢) – ولماذا قبلت الزواج منه ؟ إذن.. اطلبي منه الطلاق، وتخلصي منه.
الزوجة – سأفعل.. وأرفع قضية خلع.

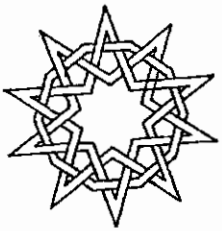

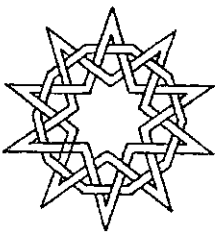

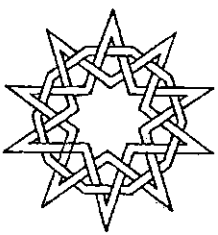

مجموعة قصص (الذي لا يقهر) : د. سعد أبو الرضا

بقلم / إبراهيم سعفان " ناقد وكاتب قصة "

الأديب ابن المجتمع ، فعليه أن يأخذ مادته منه ويعيدها إليه في صورة جديدة مصحوبة برؤيته البصيرة التي تؤثر في المجتمع تأثيرا إيجابيا يدفع به إلى الحركة والتغيير لا إلى التهدئة والتنفيس .

وكلما اقترب الأديب من مجتمعه ، وأحس نبضه ، وعرف حركته يستطيع أن يعبر عنه تعبيرا صادقا نظيفا بحيث يجد فيه نفسه فيعرف أن بضاعته ردت إليه .

هكذا يقوم الأديب بالتعبير عن آمال الإنسان وأحلامه ومستقبله وطموحاته وجروحه وآلامه .

إذا الكلمة-التزام يجب أن يحملها في قلبه تدق جرس الخطر كلما تغير اتجاهه ، فالكلمة مسؤولية وأمانة في رقبة الأديب ، فيجب أن تكون في خدمة الإنسان لبنائه بناءا إيجابيا نافعا

ولهذه الكلمة رجال آمنوا بربهم فزادهم إيمانا، إنهم يغرسون الحب والوفاء ، ويستخدمون كلمتهم في سعادة

الإنسان وفتح باب الأمل أمامه .

كتبت تلك الأعمال التي ترعى واجبها ، وتحرص على أن تكون كلمتهم نورا ينير الطريق ، كلمة نظيفة ونحن الآن في أشد الحاجة إليها شعرا أو قصة .

أصبحت القصة وسيلة من وسائل التوصيل إلى المتلقي بما فيها من عناصر جمالية شيقة في أسلوب جمالي وواقعية نظيفة تفتح باب الأمل بدلا من أن تفتح باب السوء والضياع .

من الاعمال القصصية النظيفة التي تأخذ بيد الإنسان وتقدمه بهدوء حرصا على الأخوة بين الأصدقاء ، حفظا لبيت من الانهيار ، المجموعة القصصية الجديدة الثانية بعنوان " الذي لا يقهر " للدكتور سعد أبو الرضا رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة بنها له عدد من الكتب القيمة في النقد ودراسات فنية للقصة .

أي أن الدكتور سعد يجمع بين نشاطين النشاط النقدي والنشاط الإبداعي ، وهنا نتساءل لماذا لجأ الدكتور سعد إلى الإبداع القصصي ؟ يمكن القول انه لجأ إلى العمل الإبداعي ليقول فيه ما لا يستطيع أن يعبر عنه في النقد،لأن النقد يلتزم بالدراسات

النقدية ونظرياتها فلا مجال للدخول في أفكار أخرى .

الجدير بالذكر أن الدكتور سعد يكتب عن قضايا معاصرة لم تحسم نتيجتها بعد ، ولم تتضح الرؤية فيها بعد ، وتحتاج الكتابة عنهذه القضايا وقتا حتى تستقر الأمور ، وهذا ما يفعله بعض الأدباء ، فهم لا يكتبون إلا بعد فترة طويلة قد تصل سنوات مثلما فعل د. يوسف إدريس – رحمه الله – في روايته " رجال وثيران " .

ولمعرفة الدكتور سعد بهذا لجأ إلى التقاط لقطة تكشف عن موقف من المواقف ، مثل قصة " الذي لا يقهر " ، فرغم اهتمام إسرائيل في البحث عن حسن نصر الله الذي قاد الحرب الأخيرة مع إسرائيل في لبنان وجندت الجنود للبحث عنه في كل مكان حتى المستشفيات ، وأخيرا علموا أنه في إحدى المستشفيات ، فهاجموها وقتل قائد المجموعة ، وبحث الجنود في الملفات عن ملف " حسن نصر الله " ، فلم يجدوا إلا ملف " حسن نصر الله معوض " وتركوا المستشفى يجرون أذيال الفشل .

وقصص هذه المجموعة يهتم فيها الكاتب بمعالجة القضايا

الاجتماعية ، المتعلقة بالأسرة ، وعلاقة الـزوج والزوجـة ، وتأثير هذه العلاقة على الأولاد إيجابا وسلبا ولذا نجده يحـدد العقوبة التي تستحقها الزوجة أو الزوج وفقا لخطئه .

ولذا تناول حالات متنوعة تبين الفرق بين الزوجة الوفية التي تقف بجوار زوجها خاصة في أيام المحـن ، والزوجـة الجحود المتمردة دون سبب :

(١) الزوجة التي تقف مع زوجها وقت المحن ، كمـا فـي قصة " إنهم يبيعون الحياة " ، فهي تشجع زوجها على الرحيل إلى القرية ليزرع أرضه التي ورثها عن أمه وأبيه :

(نزرع القراريط التي ورثتها عن أبي وأمي .. لعلهـا تـسد رمقنا ، وتعيننا على مواجهة حياتنا .. عندما نبدأ حياة جديـدة هناك بجوار أرضنا .. وتعساً لأنانية هؤلاء المستثمرين الذين يطفئون نور الحياة بدلا من إحيائها وإضاءتها والحفاظ عليها)

(٢) الزوجة المتكبرة المتعالية على جيرانهـا وأصـدقائها حتى على زوجها وأسرته بعد أن انتقلت بزواجها إلى مستوى اجتماعي جديد ، وقد عانى زوجها مـن هـذه التـصرفات وضاق بها

، وبسلوكها السيئ فقد كانت تأخذ من منزلها بعض الأشياء المهمة وتهديها لأمها ، وزادت عن حدها عندما اتهمت زوجها بأخذها إلى أمه ، وبعد سرد ما دار بينها وبين أمها وزوجها وتأنيبها لها تشعر بالندم وتطلب العفو ، فيعفو عنها الزوج بعدما (أحست بشدة سوء ما فعلت .. وانخرطت في البكاء معلنة أسفها وندمها .. وهوت على يدي أمها وزوجها مقبلة لهما .. ثم قالت .. لقد ولدت من جديد .. لقد ولدت من جديد) .

(٣) وفي قصة ابتزاز نجد الزوجة تبتز زوجها وتثقل كاهله بالطلبات الثقيلة والخفيفة ، ولا يهمها إلا تحقيق طلباتها ، ورغم سوء سلوكها هذا تقف أمامه وتطلب منه أن يطلقها ، ولكنه لم يستطع لأنه يحبها فتهدده بالطلاق .

ونصحه صديقه بالصبر من أجل حبه لها (فأخذ يهدئ من روع صديقه أحمد قائلا له :(اصبر ما دمت تحبها ... وسيجعل الله من بعد عسر يسرا ... وأخذت أفكر ... إذا لم يكن الطلاق لمثل هذا الابتزاز ، فلماذا شرعه الله) .. ويرضي الزوج صابرا علي زوجته لأنه يحبها .

(٤) وفي قصة "الثمن" نجد الزوجة التي تريد ثمن رعايتها له ولأولاده رغم أنه يستجيب لجميع طلباتها ، ويضيق بها ، وينصحها ولا فائدة فيصبر عليها ، وتسأله ابنته عن سبب سوء معاملة أمها له ، لماذا تتكلم معه بهذه الطريقة فقال لها (ربما يكون مرضا نفسيا .. أسأل الله أن .. يشفينا جميعا مما بنا .. غدا إن شاء الله سنقوم بزيارة للطبيبة النفسية ، وأرجو ألا تتردد ماما في الذهاب)

(٥) وفي قصة " المصباح الأحمر" نجد الزوجة الخائنة التي تخون زوجها مع رئيسها في العمل ، وقد اكتشف ذلك الزوج بنفسه ، فاتخذ قراره فورا بطلاقها ، فالكاتب يضع العقاب الرادع للزوجة الخائنة لأنه لا علاج لها ، أما الزوجات الأخريات فأخطاؤهن يمكن علاجها .

، وبسلوكها السيئ فقد كانت تأخذ من منزلها بعض الأشياء المهمة وتهديها لأمها ، وزادت عن حدها عندما اتهمت زوجها بأخذها إلى أمه ، وبعد سرد ما دار بينها وبين أمها وزوجها وتأنيبها لها تشعر بالندم وتطلب العفو ، فيعفو عنها الزوج بعدما (أحست بشدة سوء ما فعلت .. وانخرطت في البكاء معلنة أسفها وندمها .. وهوت على يدي أمها وزوجها مقبلة لهما .. ثم قالت .. لقد ولدت من جديد .. لقد ولدت من جديد) .

(٣) وفي قصة ابتزاز نجد الزوجة تبتز زوجها وتثقل كاهله بالطلبات الثقيلة والخفيفة ، ولا يهمها إلا تحقيق طلباتها ، ورغم سوء سلوكها هذا تقف أمامه وتطلب منه أن يطلقها ، ولكنه لم يستطع لأنه يحبها فتهدده بالطلاق .

ونصحه صديقه بالصبر من أجل حبه لها (فأخذ يهدئ من روع صديقه أحمد قائلا له :(اصبر ما دمت تحبها ...

وسيجعل الله من بعد عسر يسرا ... وأخذت أفكر ... إذا لم يكن الطلاق لمثل هذا الابتزاز ، فلماذا شرعه الله) .. ويرضي الزوج صابرا علي زوجته لأنه يحبها .

(٤) وفي قصة "الثمن" نجد الزوجة التي تريد ثمن رعايتها له ولأولاده رغم أنه يستجيب لجميع طلباتها ، ويضيق بها ، وينصحها ولا فائدة فيصبر عليها ، وتسأله ابنته عن سبب سوء معاملة أمها له ، لماذا تتكلم معه بهذه الطريقة فقال لها (ربما يكون مرضا نفسيا .. أسأل الله أن .. يشفينا جميعا مما بنا .. غدا إن شاء الله سنقوم بزيارة للطبيبة النفسية ، وأرجو ألا تتردد ماما في الذهاب)

(٥) وفي قصة " المصباح الأحمر" نجد الزوجة الخائنة التي تخون زوجها مع رئيسها في العمل ، وقد اكتشف ذلك الزوج بنفسه ، فاتخذ قراره فورا بطلاقها ، فالكاتب يضع العقاب الرادع للزوجة الخائنة لأنه لا علاج لها ، أما الزوجات الأخريات فأخطاؤهن يمكن علاجها .

(٦) وفي قصة " حراك العوانس" تقوم الأم علي رعاية بناتها الثلاث بعد موت زوجها ، وحققت لهن مستوي تعليميا عاليا ، ولم يتزوجن، ثم فكرت الأم والبنات في الزواج عندما جاء رجل لخطبة الصغرى المطلقة ، ولم يحدث نصيب ورفضت الأم فكرة الزواج رفضا تاما وكذلك البنات رغم عدم اجتماعهن ، (ضاربة عرض الحائط بظل رجل قد تجاوزته الحياة) ، وظلت ترعي بناتها وهي سعيدة .

ويهدف الدكتور سعد في كشف العيوب مهما كانت بسيطة ، فيجب التنبيه إليها مثل الموظف الكبير الذي يتهرب من دفع التبرعات للمحتاجين ، كما يتهرب من شراء تذكرة المترو . الجدير بالذكر أن هذه القصص صورة من شخصية ، الدكتور سعد ، فهو إنسان هادئ الطبع ، مبتسم دائما ، متفائل ، سلس الحديث ، دقيق الملاحظة ، يشعر من يراه أنه يعرفه من زمان ، واضح أنه يعالج الأمور بهدوء حفاظا علي قيم أكبر من الخطأ .

ولهذا نجد قصصه تنساب في روح المتلقي لبساطتها الممتنعة علي الأداء مثلها ، لسلاسة الأسلوب ، والوضوح

الذي يجعل المتلقي يتواصل معه،وبعض القصص يمكن القول إنها قصص قصيرة جدا لتكنيكها الفني الذي وردت به القصة ، فهي تعتمد علي اللفظة ، الواحدة ، أو الومضة التي تتوهج ومنها تبدأ القصة .

وشخصيات القصص يسري فيها الوجدان الديني الذي يضبط حركتها ، ويوقظ ضميرها عند اللزوم فيحميها من السقوط ، والتصرف الطائش الذي يهدم كل شيء في لحظة الغضب.

وهناك قصص تسجيلية مثل قصة "الذي لا يقهر" أو قصة " العمرة والرحلة ٨٢٢" اكتفي فيها الكاتب بالتسجيل فقط الدكتور سعد أبو الرضا بكتب قصصه برعدية مشبعة بالوجدان الديني الذي أنعكس عَلي شخصياته ، وكتابته وعدة لتطهير النفس والحب ولم الشمل لبناء المجتمع بناء قويا .

إبراهيم سعفان

هذه القصص

حسني سيد لبيب

ناقد وكاتب قصة

تدور قصة " هم يبيعون الحياة " بين أحد العاملين بمصنع نسيج وزوجته ، عقب استغناء صاحب المصنع الجديد عنه هو وزملاءه المائة ، يطلق الرجل صرخة احتجاج ، ويعتزم النزوح إلى القرية ، يرعى أرضا له ، ويقتات من ريعها ، تمس الفكرة وترا حساسا في زمن الخصخصة التي تمر بها البلاد ، دون مراعاة لأحوال العباد ، هذا عن المضمون ، أما المستوى الفني للقصة ، فيكاد يقتصر على الكلمة النارية ، والقول المباشر ، والوضوح .

وفي قصة " الشيخان " نتعرف على صديقين ضاقا بالفساد والظلم اللذين يعششان في كل مكان ، وكانا عاجزين عن تغيير الوضع إلى الأفضل ، تخرجا في كلية الغة العربية بالأزهر ، وهما من أسرتين فقيرتين ، تديّنا وسارا في درب الهداية ، يعظان الناس بما يريانه خيرا.

اتجه أحدهما للعمل مدرسا للغة العربية ، وعمل الثـاني ميكانيكي سيارات ، سجن الشيخ أحمد ، بعد إلقاء القـبض عليه في إحدى التظاهرات ، وكان صـديقه الـشيخ علـى يزوره من حين لآخر ، ثم

صدر قرار بإلغاء الأحكام العرفية ، وإيقـاف العمـل بقانون الطوارئ . وعاد الصديقان إلى الشارع الذي كانـا يسكنان فيه ، ومارسا شعائرهما الدينية .

كتبت القصة بطريقة التدوير ، بمعنى أن الصديقين شبا متحابين متجاورين ، وفرقتهمـا الحيـاة والآلام ، وظـل أحدهما يسأل عن صنوه مدة حبسه ، وفـي النهايـة ، يـتم الإفراج عنه ويرجعان إلى حيهما والـشارع الـذي كـان يقطنان فيه .

في بداية القصة ، يقول الكاتب عن الشيخين .. " هكـذا كان يسميهما أهل شارع السد بحي السيدة زينب بالقاهرة " . وينهي القصة بقوله : " وعاد الشيخ أحمد مع صديقه الـشيخ عي إلى شارع السد بحي السيدة زينب يمارسان شـعائرهما وطقوسهما ..

البداية والنهاية متقاربتان متعانقتان، بما يسمى بالتدوير فى كتابة القصة، أو نقول إنها قصة مدورة، والتدوير هنا من جماليات النص الأدبى. لكن الوضوح ظل ديدن الكاتب فيما يكتب. وهناك تفاصيل زائدة لا لزوم لها، حيث إنها بلا ضرورة فنية، مثال لهذا قوله: "هكذا كان يسميهما أهل شارع السد بحى السيدة زينب بالقاهرة". ويمكن اختصار هذا القول الإنشائى، وتكتب العبارة: "هكذا كان يسميهما أهل شارع السد".. بعد حذف الاستطراد غير المفيد، وليستثير حافظة القارئ فى التفكير فى موقع هذا الشارع. قس على ذلك استطرادات أخرى لا تغيب عن حصافة كاتبنا، فيما عدا ملاحظاتى السابقة، تشمخ القصة بحبكتها الفنية وسردها الفنى الراقى، وفكرتها الجيدة.

ويحكى القاص فى قصة "المدير العام... يسرق المترو" جانباً مخادعاً من حياة مدير عام، الذى يظهر ما لا يبطن. بدأ الكاتب يقترب من البناء الواقعى، ويعتمد سرده القصصى على الحدث، مع إيجاز الكلام، وبلاغة الصياغة الفنية.

وفى قصة "ميلاد... جديد"، نلقى زوجة يهمها المظهر الاجتماعى، حتى لو أدى ذلك إلى الكذب. هى – أيضاً – تظهر ما لا تبطن، إلى أن تنكشف طباعها، وكان درساً قاسياً تعلمت منه الكثير. تعالج القصة النفاق الاجتماعى، وتعد بحق ميلاداً جديداً للزوجة المتعجرفة المتعالية، رغم بيئتها المتواضعة، ويحق عليها القول: "لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله".

أما قصة "العمرة ... والرحلة ٨٢٢" فتقول إن أمور حياتنا فى يد القدر. وهذا الذى يسعى لركوب الطائرة كالمعتاد، يفاجأ بمكان آخر عليه التوجه إليه لإدراك الطائرة، وبرغم أهمية وصوله فى الموعد المحدد لحضور اجتماع مهم، ولا تدلنا القصة على شئ آخر. تكرر رقم الرحلة ٨٢٢ ثلاث مرات فى الخمسة وعشرين سطراً، علاوة على ذكره أيضاً فى العنوان!..

والسرد فى قصة "المصباح الأحمر" محاورة بين زوجين، تزعم الزوجة أن عملها يبتلع كل وقتها، ولا تستطيع الرد على مكالمات زوجها عبر الهاتف. وحين دخلت والدتها المستشفى، اضطر للمرور على زوجته فى عملها لتصحبه لزيارتها. لكن الشكوك راودته، إلا أن فاجأها فى لقاء مع وكيل الوزارة، فطلقها ثلاثاً. انقسمت القصة إلى سردين، الأول حوار والثانى على لسان الزوج. يغطى كلام الزوج فترة ما بعد مرض والدتها. قد صبر الزوج على زوجته حتى أتى بالبينة وتأكد من خيانتها. تبرز القصة ما يعتور مجتمعنا من خيانات زوجية، القصة جيدة شكلاً ومضموناً، يبرع فيها الكاتب بجمله الموحية المكثفة، والسرد الموجز يختصر الكلمات اختصاراً.

وتتحدث قصة "ابتزاز" عن ظلم الزوجات لأزواجهن. يروى الصديق ما حدث لصديقه من ابتزاز زوجته له وطمعها فى ثروته، تحرضها أمها فى ذلك، ويضطر فى النهاية إلى أخذ مشورة صاحبه فى تطليقها.

كما يركز يراع الكاتب على أسباب عنوسة

ثلاث شقيقات، فى قصة "حراك العوانس"، وبدا هذا محللاً نفسياً أكثر من كونه قاصاً مبدعاً.

وفى قصة "الثمن" يتضرر الزوج من زوجته التى تبدو غير راضية بحياتها معه، وتطمع فى أن يضع لها مبلغاً من المال فى مصرف. وهى كغيرها من قصص المجموعة التى يركز فيها على أخطاء المرأة وتطلعاتها وغضبها وما إلى ذلك، وهو بذلك ينحاز للرجل المخلص لزوجته فيلقى الجحود والصدود. يعيش الزوج فى السعودية، حيث يقوم بزيارات لأبها والطائف والمنطقة الشرقية. إذن مكان الحدث هو السعودية. ولا ندرى هل هى إقامة بحكم عمله هناك، أم إنه شاء الكتابة عن واقع المجتمع الذى يعيش فيه؟

أخر قصص الدكتور سعد أبو الرضا هى قصة قصيرة جداً، أو حوار قصير جداً أبطاله الزوجة والأم والأختان. كل واحدة تتفوه بجملة واحدة. تكره الزوجة من ارتبطت به ولا تريده. تسأل الأم عن سبب خروجها معه، وإحدى الأختين تقول إنه النصيب، وتسأل الثانية عن سبب قبولها الزواج منه، وتحثها على طلب الطلاق منه، فتندفع الزوجة قائلة: "سأفعل .. وأرفع قضية خلع".

حسنى سيد لبيب
Hosni_labib@yahoo.com

الفهرس

العنوان	رقم الصفحة
١. الذى لا يقهر	٧
٢. إنهم يبيعون الحياة	١١
٣. الشيخان	١٥
٤. المدير العام يسرق " المترو"	٢١
٥. ميلاد جديد	٢٥
٦. العمرة .. والرحلة ٨٢٢	٣٣
٧. المصباح الأحمر	٣٥
٨. ابتزاز	٣٩
٩. حراك العوانس	٤٥
١٠. الثمن	٤٩
١١. زواج على ورق طلاق	٥٣
١٢. قراءة فى هذه المجموعة إبراهيم سعفان	٥٥
١٣. قراءة أخرى حسنى سيد لبيب	٦٥

دار المصطفى للطباعة	بنها الجديدة ت/ ٣٢٣٨٣٦٠
رقم الإيداع	٢٠٠٧/٤٨٦٠
الترقيم الدولي	I:S.B.N 977-17-441-0